

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } * { مَلِكِ النَّاسِ } * { إِلَهِ النَّاسِ } * { مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } * { الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } * { مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }
(6-1){

وقرأ الجمهور: { قُلْ أَعُوذُ } بالهمزة. وقرأ بحذفها، ونقل حركتها إلى اللام. وقرأ الجمهور بترك الإمالة في الناس، وقرأ الكسائي بالإمالة. ومعنى { رَبِّ النَّاسِ } : مالك أمرهم، ومصالح أحوالهم، وإنما قال { رَبِّ النَّاسِ } مع أنه ربّ جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شرّ ما يوسوس في صدورهم. وقوله: { مَلِكِ النَّاسِ } عطف بيان جيء به لبيان أن ربيته سبحانه ليست كربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من ممالكهم، بل بطريق الملك الكامل، والسلطان القاهر. { إِلَهِ النَّاسِ } هو أيضاً عطف بيان كالذي قبله لبيان أن ربيوته، وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالاتحاد والإعدام، وأيضاً الربّ قد يكون ملكاً، وقد لا يكون ملكاً، كما يقال ربّ الدار، وربّ المتاع، ومنه قوله:

{ اتَّخَلُّواْ أَحْبَرَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ }

[التوبة: 31] فبين أنه ملك الناس. ثم الملك قد يكون إلهاً، وقد لا يكون، فبين أنه إله؛ لأن اسم الإله خاصّ به لا يشواكه فيه أحد، وأيضاً بدأ باسم الربّ، وهو اسم لمن قام بتدبيره، وإصلاحه من أوائل عمره إلى أن صار عاقلاً كاملاً، فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك، فذكر أنه ملك الناس. ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وأنه عبد مخلوق، وأن خالقه إله معبود بين سبحانه أنه إله الناس، وكرّر لفظ الناس في

الثلاثة المواضع؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار؛ ولأن التكرير يقتضي مزيد شرف الناس.

{ مِنْ شَرِّ أَلْوَسَوَاسٍ } قال الفراء: هو: بفتح الواو بمعنى الاسم، أي: الموسوس، وبكسرهما المصدر، أي: الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة. وقيل: هو بالفتح اسم بمعنى الوسوسة، والوسوسة: هي حديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة، أي: حدّثته حديثاً، وأصلها الصوت الخفيّ. ومنه قيل: لأصوات الحلي وسواس، ومنه قول الأعشى:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

قال الزجاج: الوسواس هو الشيطان، أي: ذي الوسواس. ويقال إن الوسواس ابن لإبليس، وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة في تفسير قوله:

{ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ }

[الأعراف: 20] ومعنى { الْخَنَّاسِ } : كثير الخنس، وهو التأخر، يقال خنس يخنس: إذا تأخر، ومنه قول العلاء بن الحضرمي يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فإذا دخسوا بالشرّ فاعف تکرماً وإن خنسوا عند الحديث فلا تسل

قال مجاهد: إذا ذكر الله خنس وانقبض. وإذا لم يذكر انبسط على القلب. ووصف بالخناس؛ لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى:

{ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَّاسِ }

[التكوير: 15] يعني: النجوم لاختفائها بعد ظهورها، كما تقدّم. وقيل: الخناس اسم لابن إبليس، كما تقدّم في الوسواس. { أَلَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } الموصول

يجوز أن يكون في محل جرّ نعتاً للوسواس، ويجوز أن يكون منصوباً على الدم، ويجوز أن يكون مرفوعاً على تقدير مبتدأ.

وقد تقدّم معنى الوسوسة. قال قتادة: إن الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له، وإذا ذكر العبد ربه خنس. قال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك، ووسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفيّ يصل إلى القلب من غير سماع صوت.

ثم بيّن سبحانه الذي يوسوس بأنه ضربان: جني، وإنسي، فقال: { مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ } أما شيطان الجنّ، فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس، فوسوسته في صدور الناس أنه يرى نفسه كالناصح المشفق، فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته، كما قال سبحانه:

{ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ }

[الأنعام: 112] ويجوز أن يكون متعلقاً بـ { يوسوس } أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنة، ومن جهة الناس، ويجوز أن يكون بياناً للناس. قال الرزّي، وقال قوم: من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله: { فِي صُدُورِ النَّاسِ } لأن القدر المشترك بين الجنّ والإنس يسمى إنساناً، والإنسان أيضاً يسمى إنساناً، فيكون لفظ الإنسان واقعاً على الجنس، والنوع بالاشتراك. والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه لفظ الإنس والجنّ ما روي أنه جاء نفر من الجنّ. فقليل لهم: من أنتم؟ قالوا: ناس من الجنّ. وأيضاً قد سماهم الله رجالاً في قوله:

{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ}

[الجن: 6]. وقيل: يجوز أن يكون المراد أعوذ برّب الناس من الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس، ومن الجنة والناس، كأنه استعاذ ربّه من ذلك الشيطان الواحد، ثم استعاذ برّبّه من جميع الجنة، والناس. وقيل: المراد بالناس الناسي، وسقطت الياء كسقوطها في قوله:

{يَوْمَ يَدْعُوا اللَّاع}

[القمر: 6] ثم بيّن بالجنة والناس؛ لأن كل فرد من أفراد الفريقين في الغالب مبتلى بالنسيان، وأحسن من هذا أن يكون قوله: {وَالنَّاسِ} معطوفاً على الوسواس، أي: من شرّ الوسواس، ومن شرّ الناس كأنه أمر أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس. قال الحسن: أما شيطان الجنّ، فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس، فيأتي علانية. وقال قتادة: إن من الجنّ شياطين، وإن من الإنس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الجنّ والإنس. وقيل: إن إبليس يوسوس في صدور الجنّ، كما يوسوس في صدور الإنس، وواحد الجنة جنّي كما أن واحد الإنس إنسيّ. والقول الأوّل هو أرجح هذه الأقوال، وإن كان وسوسة الإنس في صدور الناس لا تكون إلا بالمعنى الذي قدّمنا، ويكون هذا البيان تذكّر الثقلين للإرشاد إلى أن من استعاذ بالله منهما ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة.

وقد أخرج ابن أبي داود عن ابن عباس في قوله: {الْوَسْوَسِ الْخَنَّاسِ} قال: مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب، فيوسوس إليه، فإن ذكر الله خنس، وإن سكت عاد إليه فهو الوسواس الخنّاس. وأخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، وأبو يعلى، وابن شاهين، والبيهقي في الشعب عن أنس عن النبيّ صلى الله

عليه وسلم قال: " إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله
خنس، وإن نسيه التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس " وأخرج ابن أبي شيبة، وابن
جرير، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: { أَلْوَسْوَسِ الْخَنَّاسِ } قال: الشيطان
جاث على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس. وأخرج ابن
أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والضياء في
المختارة، والبيهقي عنه قال: ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس، فإذا ذكر الله
خنس، وإذا غفل وسوس، فذلك قوله: { أَلْوَسْوَسِ الْخَنَّاسِ }. وقد ورد في معنى هذا
غيره، وظاهره أن مطلق ذكر الله يطرد الشيطان، وإن لم يكن على طريق الاستعاذة،
ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز بخيري الدنيا والآخرة.